الباب التاسع

المرأة داعية إلىٰ الله تعالىٰ

الفصل الأول

منهج الدعوة إلى الله تعالى

تهدف الدعوة الإسلامية إلىٰ جمع الناس علىٰ الخير ، وإلىٰ رشادهم إلىٰ طريق الهداية ، وذلك عن طريق الالتزام بمبادىء الإسلام الحنيف ، وهناك توجيهات كثيرة ، منها قول الله تعالىٰ :

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [لقمان : ١٧] .

ولا يُقصد بالدعوة هنا رفع الشعارات فقط ، ولا الانزواء في محاريب المساجد وتلاوة القرآن و . . . إنما هي الاندماج الحقيقي ـ من جميع النواحي ـ مع حياة الإنسان ، فالفلاح في مزرعته يدعو الله من خلال عمله القويم وأمانته وتوكله علىٰ الله ، والموظف يدعو إلىٰ الله من خلال بُعده عن الرشوة ، والفرد يدعو إلىٰ الله من خلال تلاحمه مع أفراد مجتمعه وحبه للناس ، وهكذا فكلٌّ يدعو إلىٰ الله من خلال ما سخره الله من خلال للقيام بعمل ما ، وإلا فالقول بدون عمل أمر مذموم في نظر الإسلام ، كما قال تعالىٰ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف : ٢ـ٣] .

وقوله :

﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

[البقرة : ٤٤] .

ولو عدنا إلىٰ الماضي السحيق ، لرأينا أن جميع الأمم أرسل الله لها رسلاً يبلغونهم دعوة الله ، وذلك لكي تُقام الحجة عليهم ، وهذا ما نراه صريحاً في القرآن :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ ﴾ [النحل : ٣٦] .

ولحكمةٍ يريدهاالله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ كانت الرسالة الخاتمة التي أُنزلت علىٰ قلب سيدنا محمد ﷺ رسالةً للعالمين أجمعين ، لم تختص بأمة العرب فقط ، وإنما كانت شاملة عامة ، كما في قول قول الله تعالىٰ :

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

وقوله : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ : ٢٨] .

وقوله : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾

[الأنبياء : ٩٢] .

كل ذلك دليل واضح علىٰ كمال وتمام شريعة الإسلام ، فلا ضرورة بعدها لنزول أي شريعة أخرىٰ ، ولذلك قال تعالىٰ :

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾

[المائدة : ٣] .

ويُستنبط من هذا ، أن علىٰ المسلمين جميعاً ـ ذكوراً وإناثاً ـ عليهم أن يحملوا لواء الدعوة إلىٰ الله ، منذ أن بلغ النبي المصطفىٰ الدعوة وحتىٰ يرث الله الأرض من عليها ، فهم وحدهم العالميون ، وعليهم تحمل

الأعباء في سبيل ذلك ، ويجب أن يجاهدوا من أجل ذلك حق الجهاد ، فإذا فعلوا ذلك تحقق قول الله فيهم :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

وأما منهج الدعوة إلىٰ الله ، فيتلخص بالفطرة والحكمة والموعظة الحسنة .

حيث لم يُعرف عن الأنبياء والمرسلين ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ أنهم حملوا السلاح أو أمروا بالقتل والانقلابات و . . . من أجل الدعوة ، إنما كانوا كما صوّرهم القرآن :

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام : ٨٣] .

كما في قوله عن لقمان : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ﴾ [لقمان : ١٢] .

وقوله عن سيدنا عيسىٰ عليه السلام :

﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴾ [المائدة : ١١٠] .

وقوله : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٩] .

وقوله أيضاً : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

وقوله : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

لكن السؤال المطروح هنا : هل اختص الذكور دون الإناث في موضوع الدعوة إلىٰ الله ؟ وهل النساء غير مطالبات بهذا الأمر ؟! أم هل أن

الدعوة إلىٰ الله واجبة علىٰ النساء كما هي واجبة علىٰ الرجال ؟!

لم تميّز الشريعة الإسلامية بين الإناث والذكور في وجوب الدعوة إلىٰ الله ، وهذا نقرأه في القرآن الكريم ، والأحاديث الشريفة ، وهذا ما سنتبيّنه في سيرة الصحابيات والتابعيات ، من ذلك قول الله :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾

[آل عمران : ١٠٤] .

وقوله أيضاً : ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾

[يوسف : ١٠٨] .

والأتباع أتباع ، سواء كانوا ذكوراً أم إناثاً .

وقوله أيضاً : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [التوبة : ٧١] .

وقوله صلوات الله عليه فيما رواه الطبراني والحاكم : « من رأىٰ منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » .

ثم لندقق النظر في قول الله تعالىٰ : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

ثم لنطرح أسئلة : هل خصصت الآية الدعوة إلىٰ الله ، والعمل الصالح ، والانتماء إلىٰ الإسلام بالرجال فقط ؟! وهل أخرجت النساء من هذا الميدان ؟!

: أبداً ، فمن قال ـ سواءً كان أنثىٰ أو ذكراً ـ إنه مسلم ، ودعا إلىٰ الله ، وعمل صالحاً ، كان جزاؤه سعادة في الدنيا ونعيم سرمدي في الآخرة .

* * *

الفصل الثاني

دور المرأة المسلمة في حركة الدعوة إلى الله تعالى

ويعلق الدكتور توفيق الواعي علىٰ ذلك بقوله :

جاءت أدلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالنسبة للمرأة علىٰ ثلاثة أقسام :

القسم الأول عام يشمل الرجل والأنثىٰ علىٰ سواء ، كقوله تعالىٰ :

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

وقوله ﷺ : « من رأىٰ منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » .

القسم الثاني : صريح في إشراك المرأة مع الرجل ، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، من مثل قوله تعالىٰ :

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٧١] .

فلم يفرّق الله سبحانه وتعالىٰ في هذه الآية الشريفة صراحة بين الرجل والمرأة في إيجاب فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بل جعلها

مشاركة للرجل في أعباء الدعوة وحمل المنهج .

القسم الثالث : بيعة الرسول ﷺ للنساء علىٰ القيام بأمر المنهج وحمل الدعوة والاستقامة عليها وتنفيذ تعاليمها ، وبيعة النساء معروفة في القرآن الكريم ، وهي في قوله تعالىٰ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

[الممتحنة : ١٢] .

وهذه البيعة وإن كانت تخالف بيعة الرجال إلا أنها أخذت عليهن علىٰ ما يستطعن أن يقمن به من أعمال وأفعال تناسب وضعهن مراعاة للفرق بين أعباء الرجل وأعباء المرأة وطبيعة كل منهما[1] .

ثم كيف يُهمل دور المرأة في الدعوة إلىٰ الله ؟ مع أن لها التأثير الكبير في الفرد والمجتمع ، إنها تؤثر علىٰ أكثر من ثلثي المجتمع ! !

فهي تؤثر علىٰ الفرد وهو يتدرج في مراحله الأولىٰ ، إنها تدعو الله من خلال تنشئة أولادها علىٰ حب الله ورسوله وكتابه والمسلمين .

وهي تقف إلىٰ جانب الرجل في تبليغ الدعوة ، وذلك في مرحلة شبابه ، أو زواجه منها ، هي المرأة الواعية التي لا تبهرها الموضات والصرعات ، إنما لها الدور الكبير في الدعوة الله ، وفي تحقيق الهدف الأسمىٰ والرسالة الخالدة .

وكم للمرأة الدور الكبير من خلال التعليم ، تعليم أطفالها الفضيلة ،

---

(١) بتصرف واختصار من النساء الداعيات : ٤٤ـ٤٧ .

وتعليم الجيل ـ إن استطاعت أن تعلم في المدارس والجامعات ـ القيم والمبادىء ؟

وكم للمرأة الدور العظيم في مجال التمريض والتطبيب ـ وقد تحدثنا عن ذلك في فصل سابق ـ ؟

وكم للمرأة الدور الكبير في مساعدة الفقراء والأرامل والمساكين ، وذلك من خلال عملها في مجال الخياطة ونحوه ؟

وكم لها الدور الكبير في معالجة الشقاق بين أقرانها وجيرانها ؟

وكم لها الدور الكبير في مساعدة الدولة علىٰ محو الأمية بين أفراد المجتمع ، وخاصة بين بنات جنسها ؟

وكم لها الدور الكبير في الوقوف مع زوجها : تساعده ، تنظم بيته ، تربي أولاده ، تقتصد بوسطية ، تنفق عليه إن لزم الأمر ؟

وكم لها الدور الكبير في جميع مجالات الخدمات الاجتماعية ؟

إن المرأة المسلمة ـ وخاصة في هذه الأيام ـ تستطيع أن تمارس الدعوة إلىٰ الله عن طرق عدَّة ، بالقول ، بكشف زيف المغرضين ، بمواجهة التيارات الدخيلة ، بالإقناع والحجج ، بمعرفة مؤامرات الأعداء والمستشرقين ، بالتعرف والصلة بينها وبين من تستطيع اللقاء بهن من النساء ، بالتركيز علىٰ معرفة تراجم الصحابيات ومن بعدهن من الملتزمات . . .

ثم لو أمكن للمسلمة أن تتعدىٰ ذلك : فتكتب في الصحافة ، وتحاضر هنا وهناك ، وتحضر مجالس العلم ، وتثقف نفسها ومن حولها ، وتكوِّن مكتبة في بيتها ، وتشجع أولادها علىٰ كل ما يرضي ربها ورسوله . . .

وفي تاريخ السلف خير دليل علىٰ ما قلناه :

* ها هي (خديجة بنت خويلد) رضي الله عنها ، تعلن إسلامها منذ اللحظات الأولىٰ لنزول الوحي ، لتكون بذلك أول امرأة مسلمة ، ولتدخل التاريخ من أنصع أبوابه ، لكن هل اكتفت بذلك ؟

إن موقفها الرائع يتجسد في طمأنة رسول الله ﷺ حين هاله ما رأىٰ فقالت قولتها الشهيرة : كلا والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكَلَّ ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين علىٰ نوائب الحق[1] .

ثم ماذا ؟ لقدانطلقت إلىٰ ورقة بن نوفل لتخبره بما حدَّثها به رسول الله ﷺ ، فعاد معها إليه ، وأخبره أن هذا هو الوحي الذي أنزل علىٰ عيسىٰ وموسىٰ عليهما السلام ، ثم راحت تقف معه بجاهها ومالها وحنانها وعطفها وحبها وتقديرها و . . . فاستحقت بشارة الله لها ببيت لا نصب فيه ولا تعب ، في جنة عرضها السماوات والأرض ، إنها امرأة ، لكنها عرفت بعد أن نظرت ، واتبعت بعد أن عرفت ، أما كثير من الرجال وقتها ، فعرفوا بعد أن نظروا ، لكنهم بدل أن يتبعوا عاندوا وأصروا واستكبروا ، فكان بدل البشارة لهم ويل وثبور وهلاك !!

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾

[المسد : ١ـ٥] .

* وتلكم (أم شريك الأسدية) رضي الله عنها :

بعد أن أسلمت في مكة ، راحت تدعو نساء قومها إلىٰ الإسلام ، فلما علم بذلك المشركون ، أخذوها ، وعذبوها ، وأركبوها علىٰ بعير وليس

---

(١) للتوسُّع يراجع الروض الأنف للسهيلي : ١/ ٢٧٧ .

تحتها شيء ، ومنعوا عنها الطعام والشراب ثلاثة أيام . . . لكن مع كل هذا حين تركوها عادت إلىٰ مجال الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ ! ![1] .

* وتلكم (سعاد بنت سلمة بن زهير) رضي الله عنها :

امرأة بايعت سيدنا رسول الله ﷺ ، وكانت وقتها حاملاً ، فطفح إخلاصها وحبها لله وللرسول إلىٰ أعلىٰ درجة فقالت : يا رسول الله بايعني علىٰ ما في بطني ! ! فقال النبي صلوات الله عليه : « أنت من الحرائر »[2] .

لكأني بهذه الصحابية تفسر قول الله تعالىٰ :

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦٢ـ ١٦٣] .

أو تستنبط من قول الله تعالىٰ الآتي معنىٰ التضحية والإخلاص في حب الله ورسوله :

﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة : ٢٤] .

* وتلكم (روضة) رضي الله عنها :

كانت مولاة لسيدنا رسول الله ﷺ ، وكانت تعلِّم الناس أحكام القرآن ، فلما نزل قول الله تعالىٰ :

---

(١) للتوسع يراجع الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني : ٤/ ٢٤٦ .
(٢) الإصابة : ٤/ ٣٢٠ .
(٣) للتوسع يراجع الإصابة : ٤/ ٣٠٢ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَآ ﴾ [النور : ٢٧] .

جاء رجل فاستأذن علىٰ النبي ﷺ ، قال : أألج ؟

فقال النبي ﷺ لجاريته روضة : قومي إلىٰ هذا فعلميه فإنه لا يحسن الاستئذان ، فقولي له يقول : السلام عليكم أأدخل ؟

فسمعها الرجل فتعلم ، فقالها ودخل[1] .

* وتلكم (قتيلة بنت النضر بن الحارث) :

كان أبوها كثير الأذىٰ لرسول الله ﷺ ، وكان عنيداً حاسداً هجاءً للإسلام وأهله ، وكان يحفظ قصص ملوك الفرس وأخبار قوادها . . .

فكان كلما رأىٰ رسول الله يذكر الله ويحض الناس علىٰ الإسلام ، كان يقف ويقول : أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً من محمد فهلمّ إليّ ، فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم . . .

ثم ذهب إلىٰ المدينة واجتمع مع اليهود وسألهم عن معضلات المسائل ليحاج بها رسول الله ﷺ ، فقال له أحبارهم : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فهو رجل كذاب : سلوه عن فتية ذهبوا في الدهرالأول ما كان من أمرهم ، فإنه قد كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ المشارق والمغارب ماكان نبؤه ، وسلوه عن الروح ما هي ؟

فجاء النضر بن الحارث إلىٰ قريش فرحاً و قال : يا قريش ، قد جئتكم بفصل الخطاب ، ثم سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فأجابهم ، وحكىٰ القرآن ذلك في سورة الكهف ! !

---

(١) الإصابة : ٤/ ٣٠٢ .

مع كلّ هذا بقي النضر معانداً مستكبراً ، وتآمر علىٰ قتل الرسول في الهجرة ، ثم جاءت معركة بدر ، فقتله سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه . . .

فما كان من (قتيلة) إلا أن أرسلت إلىٰ سيدنا رسول الله بقصيدة قالت فيها :

يـــا راكبـــاً إن الأثيـــل مظلـــة ... من صبح خامسة وأنت موفق
أبلـــغ بهـــا ميتـــاً بـــأن تحيـــة ... ما إن تزال بها النجائب تخفق
منـــي إليـــه وعبـــرة مسفـــوحـــة ... جـادت بـوابلهـا وأخـرىٰ تخنـق
هـل يسمعنّي النضـر إن نـاديتـه ... بـل كيـف يسمـع ميـت لا ينطـق
ظلـت سيـوف بنـي أبيـه تنـوشـه ... لله أرحـــام هنـــاك تشقـــق
صبـراً يقـاد إلـىٰ المنيـة متعبـاً ... رَسْـفَ المُقيـد وهـو عـان مـوثـق
أمحمـد ولـدتـك خيـر نجيبـة ... في قومها والفحل فحل معرق
مـا كـان ضـرّك لـو مننـت وربمـا ... منّ الفتىٰ وهو المغيظ المحنق
النضـر أقـرب مـن أسـرت قـرابـة ... وأحقهـم إن كـان عتـق يعتـق

تقول كتب التراجم والسير : فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ بكىٰ حتىٰ اخضلت لحيته وقال : « لو بلغني شعرها قبل أن يقتل لعفوت عنه »[1] .

إذن : كم للمرأة من تأثير في مجال الدعوة ، سواء كان ذلك باللسان أو البنان أو غير ذلك . . . ؟!

---

(١) يراجع في ذلك : السيرة لابن كثير : ٢/ ٤٧٤ ، والروض الأنف : ٣/ ٣٨ ، وسيرة سيّد الأنام ، للمؤلف : ٣/ ١٤٧ .

* وتلكم الصحابية (أم زفر) رضي الله عنها :

يقول عطاء : رأيت أم زفر امرأة طويلة سوداء علىٰ سلم الكعبة ، فقال لي عبد الله بن عباس : ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟

قلت : بلىٰ ، قال : هذه المرأة السوداء ، أتت النبي ﷺ فقالت : إني أصرع ، وإني أتكشف فادع الله لي ، فقال : « إن شئتِ صبرتِ ولك الجنة ، وإن شئتِ دعوتُ الله أن يعافيك »

فقالت : أصبر ولي الجنة ! ! فدعا رسول الله ﷺ لها بذلك[1] .

أية ثقةٍ بما عند الله كانت تتحلىٰ بها هذه المرأة ؟ وأي ثباتٍ وصبرٍ لا تزعزعهما الجبال كانت تتحلىٰ بهما هذه المرأة ؟

* وتلكم الصحابية (خولة بنت ثعلبة) رضي الله عنها :

تجادل سيدنا رسول الله ﷺ في ظهار زوجها لها ، ولما لم يأتها الجواب منه قالت : إلىٰ الله أشكو لا إلىٰ رسول الله ! !

فأنزل الله قوله : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة : ١] .

هذه المرأة في زمن الفاروق عمر رضي الله عنه استوقفته ذات يوم في السوق طويلاً ووعظته قائلة : يا عمر قد كنت تدعىٰ عميراً ، ثم قيل لك عمر ، ثم قيل لك أمير المؤمنين ، فاتق الله يا عمر ، فإنه من أيقن بالموت خاف الفوت ، ومن أيقن بالحساب خاف العذاب ! !

والفاروق عمر واقف يسمع كلامها ، فقيل لها : أتقولين ذلك لأمير المؤمنين ؟ ! فقال عمر : والله لو حبستني من أول النهار إلىٰ آخره لا زلت إلا للصلاة المكتوبة ، أتدرون من هذه العجوز ؟ ! إنها خولة بنت ثعلبة ،

---

(١) للتوسع يراجع الإصابة : ٤/ ٢٣٤ .

سمع الله قولها من فوق سبع سماوات ، أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمع عمر ؟![1] .

لقد مارست الدعوة إلىٰ الله ، لكن ليس بالأساليب المفروشة بالورود والرياحين ، وليس بوسائل الراحة والدعة و. . . ! إنما مارستها في أصعب أشكالها وأخطرها ، مارست الدعوة مع الحاكم ، أرادت أن تذكره بما كان قبل الإسلام ، كي لا يغترَّ بالجاه والمنصب. . !

وهذه القصة تذكرنا بموقف بطلة كربلاء (زينب أخت الحسين) رضي الله عنهم جميعاً مع (زياد) في بلاد الشام ، وكيف ردت عليه الرد المفحم ! ![2] .

❊ ❊ وتلكم الصحابية (أم ذر) رضي الله عنها :

كان لها الأثر الأكبر في إعلان إسلام زوجها ، حيث يذكر كتَّاب التاريخ[3] أن سيدنا رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يبتسم قال لأبي ذر : « يا أبا ذر حدثني ببدء إسلامك » قال : كان لي صنم يقال له (نهم) ، فأتيته فصببت له لبناً ووليت ، فحانت مني التفاتة ، فإذا كلب يشرب ذلك اللبن ، فلما فرغ رفع رجله فبال علىٰ الصنم ! ! فأنشأت أقول :

ألا يا نهم إني قد بدا لي ... مدىٰ شرف يبعد منك قربا
رأيت الكلب سامك حظّ خسفٍ ... فلم يمنع قفاك اليوم كلبا

فسمعتني أم ذر ، فقالت تعتب عليَّ : لقد أتيت جرماً ، وأصبت عظماً ، حين هجرت نهماً ، فخبرتها الخبر فقالت :

ألا فابغنا رباً كريماً ... جواداً في الفضائل يا ابن وهب

---

(١) تفسير ابن كثير : ٤/ ٣٢٠ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١٧/ ٣٨ .
(٢) الكامل لابن الأثير : ٤/ ٨٦ .
(٣) الإصابة : ٤/ ٤٣١ .

فمـا مـن سـامـه كلـب حقيـر فلـم يمنـع يـداه لنـا بـرب
فمـا عبـد الحجـارة غيـر غـاوٍ ركيـك العقـل ليـس بـذي لـب

فقال ﷺ : « صدقت أم ذر ، فما عبد الحجارة غير غاوٍ » .

هذه نماذج وصور من حياة الصحابيات ، كيف تلقين دعوة الإسلام ، ثم كيف مارسن الدعوة إلىٰ الله .

وعلىٰ هذا المنوال سار مَنْ بعدهن من المسلمات القانتات ، ولذلك لن ننسىٰ موقف فاطمة من عمر رضي الله عنهما عندما جاء ليقتل سيدنا رسول الله ، وكيف واجهته بكل ثقة وشجاعة ، فكان ذلك سبباً لتحوله من الجاهلية إلىٰ الإسلام!! ولن ننسىٰ موقف سمية والدة عمار بن ياسر ـ رضي الله عنهم جميعاً ـ في بدايات الدعوة!! ولن ننسىٰ موقف زنيرة الرومية وصمودها في سبيل الدعوة!! ولن ننسىٰ أساليب الدعوة عند أم رعل القشيرية ، وعند أم كثير الأنصارية ، وعند أم كجة الأنصارية ، وعند أسماء بنت يزيد بن السكن ، وعند أسماء بنت عميس ، وعند الخنساء ، وعند جويرية بنت الحارث ، وعند أروىٰ بت الحارث بن عبد المطلب ، وعند حفصة بنت سيرين ، . . . . . وعند كل من حملت صفة من صفات الداعيات ، والتي أجملها الله تعالىٰ بقوله :

﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٣٥] .

* * *